إيران والعرب: المهددات وفرص التعايش

(مجلة السودان للبحوث والدراسات الاستراتيجية، الخرطوم، العدد ٦، السنة الثانية، أغسطس ٢٠١٥)

عبدهـ مختار موسى

بروفيسور في العلوم السياسية – السودان

drmukhtar60@gmail.com

في خلال العقدين الآخرين استطاعت إيران أن تصبح قوة إقليمية في ظل فراغ ظهر في المنطقة بسبب التطورات الجديدة التي أفرزتها تفكك القوة العراقية منذ حرب الخليج والتدخل الأمريكي وما تعانيه اليوم من صراعات طائفية وجماعات إرهابية وعدم استقرار سياسي. وكذلك ما تتعرض له سوريا من أزمة وحرب عقب ثورات الربيع العربي في عام ٢٠١١ وتراجع الدور المصري في المنطقة حيث انكفأت مصر على نفسها وأصبحت تبحث عن أسباب الاستقرار بعد أن كانت تشكل اللاعب الأساسي والدولة المفتاحية في المنطقة. كل تلك المتغيرات خلقت واقعا سياسيا مضطرباً وفراغا استراتيجيا كبيرا تقدمت إيران للتمدد فيه. فتدخلت في العديد من الدول العربية/السنية والتي كان آخرها اليمن عبر الحوثيين. وقد تحدثت القيادة الإيرانية صراحة بأنها أصبحت تسيطر على مراكز صناعة السياسة واتخاذ القرار في أربع عواصم عربية – تقصد: بغداد، بيروت، دمشق وصنعاء..

يحاول هذا المقال كشف خلفيات القوة الإيرانية وأبعاد الصراع المذهبي (السني/الشيعي) الذي تديره طهران وتداعيات ذلك التدخل وإمكانية إدارة حوار مع إيران سداً لنوافذ الفتنة والاختراق الأجنبي وتشويه صورة الإسلام.

(١) إيران الحضارة الفارسية:

يمكن تلخيص جوهر أزمة الصراع بين إيران والعرب أو إيران الشيعية والعرب السُنَّة في نقطتين: جانب حضاري وجانب آيديولوجي.

حضارياً: إن أكبر تحدي يواجه العرب ودول الإقليم من ناحية إيران هو إحساس الإيرانيين بأنهم أبناء حضارة عالمية. هذه حقيقة تاريخية لا جدال حولها. لكن تكمن المشكلة في اعتقاد الإيرانيين بأن لهم الفضل في نشر الإسلام. كما تكمن في جانب سايكولوجي آخر هو أن الإيرانيين يعتقدون ويشعرون بأن حضارتهم هي الأرقى والأكثر ثراءً وأنها تتفوق على الحضارات

الأخرى في منطقة الشرق الأوسط. هذا الشعور بالزهو jingoism يشكل أحد محركات السلوك السياسي لمحاولة التوسع الإيراني في الشرق الأوسط والعالم في العصر الحديث. وذلك من خلال نشر الفكر الشيعي ومن خلال بناء ترسانة حربية كبيرة.

وقد عبّر الإيرانيون صراحة عن هذا الشعور بالزهو والغطرسة صراحة في أكثر من مناسبة. فقد اعتبر الرئيس الإيراني (السابق) محمود أحمدي نجاد في زيارة له لواشنطن عام ٢٠١٠، أن "المستقبل لإيران"، داعياً الولايات المتحدة إلى الاعتراف ببلاده بوصفها "قوة كبرى" في المنطقة. تزامن ذلك مع اتهام طهران الوكالة الدولية للطاقة الذرية بأنها تعاني أزمة "سلطة أخلاقية ومصداقية". وقال نجاد: "على الإدارة الأميركية الاعتراف بأن إيران قوة كبرى. نعتبر أننا قوة إنسانية وثقافية، بالتالي أصدقاء للأمم الأخرى. لم نسعَ يوماً إلى الهيمنة على آخرين، أو انتهاك حقوق أي دولة". وأضاف في حديث إلى وكالة (اسوشييتد برس) في نيويورك: "أولئك الذين يصرّون على عدائنا، يقتلون ويدمرون خيار الصداقة معنا مستقبلاً، وهذا مؤسف فالواضح أن المستقبل هو لإيران ولا جدوى من معاداتها. وشدد على أن العقوبات لا تؤثر على بلاده، قائلاً: «لو كانت فاعلة، لما كنت أجلس الآن هنا."[١]

وفي هذا السياق يمكن النظر إلى إيران من أربعة جوانب أو على أربعة مستويات:[٢]

أولاً: من حيث أنها حضارة فارسية عريقة (عمرها ٢٠٠٠ سنة).

ثانياً: أنها تفاعلت مع الحضارة الإسلامية (الساسانيين).

ثالثاً: أنها أصبحت خطراً على الإسلام والدول الإسلامية من خلال إنحرافها بالدين وتحريفها لتفسير القرآن الكريم.

رابعاً: أنها بثت العصبية المذهبية وزرعت الفتن بين المسلمين وكادت أن تشكل عقيدة مختلفة، ويرتبط هذا بالجانب الآيديولوجي أو المذهبي.

آيديولوجياً: أو عقدياً ومذهبياً يختلف المذهب الشيعي اختلافا كبيراً عن المذهب السني. فهم يختلفون عن السُّنَّة في كثير من الجوانب، حتى في صيغة "الشهادة"؛ وفي طريقة الصلاة والخطبة وفي التسبيح. وأنهم يعيشون على اعتقادات خاطئة مثل نظام الإثني عشرية والإمام

[١] صحيفة الحياة اللندنية، ٢٠١٠/٩/٢١.
[٢] عبده مختار موسى، محاضرات في مادة "حاضر العالم الإسلامي السياسي"، قدمها لطلبة الماجستير بمعهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي (٢٠١٠ – ٢٠١٤).

الغائب والمهدي المنتظر. ولا يعترفون بالصحابة، بل بعض فرقهم تسئ إلى الصحابة. ويضعون علي في مقام النبي، بل هو أحق بالنبوة.

الشيعة في معناها الأصلي اللغوي "أتباع الرجل وأنصاره؛ وقد غلب على هذا الاسم على من يتولى عليا وأهل بيته".[٣] وقد "بالغ القوم في موالاة علي وأولاده، وحبهم ومدحهم مبالغة جاوزوا الحدود، وأسسوا عليها ديانتهم ومذهبهم حتى صار مذهباً مستقلاً ودیناً منفصلاً عن الدين الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم واخترعوا روايات كاذبة. واختلقوا أحاديث موضوعة. وقالوا أن لا دين إلا لموالي علي وآله، ومحبيهم..."[٤] كما أن الشيعة "يدَّعون موالاة أحد عشر شخصاً من أولاد علي، وعليا رضي الله عنه، ويعدونهم معصومون كالأنبياء ورسل الله، وأفضل منهم ومن الملائكة المقربين."[٥]

(٢) من هي إيـران؟:

خلفية تاريخية:

إيران هي دولة في الشرق الأوسط كان يُشار إليها حتى بداية القرن العشرين باسم "فارس" أو "بلاد فارس". يحدها من الشرق باكستان وأفغانستان، ومن الشمال تركمستان وبحر قزوين وأرمينيا وأذربيجان، ومن الغرب تركيا والعراق، ومن الجنوب الخليج الذي يفصل بينها ودول مجلس التعاون الخليجي وبحر عمان. سُميت إيران بـ "جمهورية إيران الإسلامية" بعد مجئ الإمام الخميني وخروج الشاه محمد رضا بهلوي منها في العام ١٩٧٩م.

يبلغ سكان إيران (٧٤) مليون نسمة. المذهب الشيعي هو المذهب الرسمي حيث تفوق نسبته ٩٠%، وتوجد أقلية سنية (٥%) ينتمون إلى عرقيات مختلفة كالأكراد والتركمان والبلوش والأرمن وغيرهم. ويتركزون في شمال غرب وجنوب غرب إيران. توجد في إيران أكثر من ١١٠ لغة أهمها الفارسية، والكردية، والعربية والبلوشية والأذرية. تتكون من ٣٠ محافظة وتتبع إيران نهجاً إسلاميا في الحكم وتطبق المذهب الشيعي الأثني عشري. ونظامها يخضع في كل قراراته لمجلس صيانة الدستور. تُجرى انتخابات رئاسية كل (٤) سنوات ويحق للرئيس أن يجدد مرة واحدة فقط. وهناك مجلس الشورى الإيراني وهو يمثل طوائف الشعب من أذريين وفرس وعرب

---

[٣] أنظر: "الشيعة في عقائدهم وأحكامهم" للسيد محمد الكاظمي القزويني، ص ١٦، الكويت. وأنظر كذلك: احسان الهي ظهير، الشيعة وأهل البيت (لاهور/باكستان: إدارة ترجمان السنة، ١٩٥)، ص ٢٢.

[٤] إحسان الهي ظهير،المرجع السابق، ص ٢٣.

[٥] المرجع نفسه، ص ٢٨.

ويهود وأرمن. ويُعتبر الولي الفقيه في إيران هو الحاكم الأعلى للبلاد، ولا يتم الاقتراع بالحر المباشر بل يتم انتخابه عن طريق مجلس الخبراء الذي ينتخبهم الشعب.

وقد قامت بعض المنظمات الإيرانية المهتمة بحقوق الإنسان بالتشكيك في "الديمقراطية" في إيران حيث أن ولاية الفقيه حسب المعتقد الشيعي تطغى على النظام السياسي التعددي في البلاد ودليل ذلك أن جميع الإصلاحات الداخلية في زمن الرئيس خاتمي تم الإطاحة بها في عهد أحمدي نجاد.[٦]

يعود تاريخ الحضارة الإيرانية إلى أكثر من ألفي سنة عندما استقرت قبائل البدو الرحل الآرية والكرد في إيران. ثم دخلت جماعات مختلفة من الجنس الآري مثل الماديين (وهم الأكراد) والبارسيين (الفرس). ويُعد قيام الدولة الأخيمنية (حكم قورش) ٥٠٠ قبل الميلاد، بداية لتاريخ الحكم الامبراطوري الذي يقوم على توارث الحكم في الأسرة المالكة. وهذا النوع من الحكم الذي يقوم على التسلط والاستبداد استمر في السلالات الملكية التي تلت السلالة الأخيمنية مثل الأشكانية والساسانية. أما عقيدة الشعب في تلك الحقبة فكانت غالباً الزرادشتية.[٧]

لقد تعرضت بلاد فارس لنقلة كبيرة في النصف الأول من القرن الثالث للميلاد – حوالي ٢٢٦م – عندما سقطت فيها دولة البارسيين وحلت محلها في الحكم دولة الساسانيين التي استمرت حتى القرن السابع الميلادي عندما سقطت أمام الفتح الإسلامي العربي. وكان عصر القوة في مجال الحرب والسياسة والإزدهار في ميدان الفن والحضارة، ونشاط واسع في دائرة الآداب والعلوم. وفي ذلك العصر بالذات قويت الصلاة وتنوعت العلاقات بين الفرس وجيرانهم العرب قبل ظهور الإسلام.[٨]

شهد عصر الدولة العباسية تفاعلاً حضارياً كبيراً بين العرب والفرس. وزحفت الحضارة الفارسية وتغلغلت كثير من مظاهرها في الكيان العربي خاصة في مجالات العلم والأدب والفنون والتفاعل الاجتماعي. لكن عندما تولى المعتصم الخلافة خلفاً لأخيه المأمون سنة ٢١٨هـ

---

[٦] http://www.un.org/esa/population/publications/wpp2007web/countries

[٧] المصدر نفسه.

[٨] القزويني، آثار البلاد في أخبار العباد، في: جعفر التاج الأمين، إيران والعرب: حجم التأثير والتأثر، بحث تكميلي لنيل درجة الدبلوم العالي في العلوم السياسية بمعهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي، جامعة امدرمان الإسلامية، ٢٠٠٧، ص ٣.

استعان بالترك (حيث كانت أمه تركية)، فكان أن دبر الفرس له المؤمرات وخططوا لسلخ أجزاء من الدول عنها ليستقلوا عن الخلافة. ونجم عن ذلك عدة دول مستقلة في الشرق؛ وبسط بنو بويه سيطرتهم على فارس ثم على العراق. وهكذا استعاد الفرس مكانتهم وتعرض العنصر العربي للضعف وانكمش نفوذه.[٩]

في العصور التاريخية الأكثر حداثة خاصة منذ القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر عندما انطلق العالم الأوروبي نحو التفوق وكانت البلاد الإسلامية تعيش مقومات الحضارة التقليدية دون تطور وكان النظام السائد عند العرب والفرس هو النظام القبلي. وساء الولاء العشائري في فارس تحت نظام حكم الشاه وهو نظام حكم شيعي أثنا عشري تأخذ به أغلبية الشعب الإيراني الأصل الفارسي اللغة، بينما كان العرب (عرب الشرق) يعيشون في العراق والشام والحجاز تحت نظام حكم عثماني سطحي وتحت أسر متعددة. ومن أشهر حكام تلك الفترة هو إسماعيل الصفوي الذي تولى الحكم في إيران في عام ١٥٠٠م وانقض على العراق وضمها إلى حكمه في عام ١٥٠٨م. ومن أهم العوامل التي تدفع الفرس (الإيرانيين) إلى الاستيلاء على العراق هو الأمل في العتبات المقدسة الموجودة في العراق تحت أيديهم مباشرة مثل النجف وكربلاء.[١٠]

غير أن السلطان سليم الأول أدرك خطر الفرس على الدولة العثمانية فقاد معركة ضد الحركة الشيعية الجديدة فأنزل بالشاه هزيمة قاسية في عام ١٥١٤م وأدى ذلك إلى تبلور الدولة الفارسية وأصبحت ذات كيان قطري/قومي واضح الملامح – (قومية فارسية/إيرانية) على الطريقة الشرقية الإسلامية. ومن أهم الفترات في إيران هي الأسرة البهلوية ١٩٢٥– ١٩٧٩م، التي بدأت بأحد رجالات الجيش هو رضا شاه بهلوي الذي أعلن تنصيبه شاهنشاه على البلاد وغيّر اسمها إلى إيران.[١١]

---

[٩] القزويني، المصدر السابق، ص ٨.

[١٠] كمال مظهر، دراسات في تاريخ إيران المعاصر، في جعفر التاج، المصدر السابق، ص ٩.

[١١] عرفان عبد الحميد فتاح (ترجمة وتعليق)، الدين والدولة في إيران، مجموعة دراسات استشراقية، كوالالمبور (ماليزيا): دار التجديد للطباعة والنشر والترجمة، ٢٠٠٢، ص ٥٩.

في النصف الثاني من القرن العشرين أصبحت إيران تحت حكم الشاه موالية للغرب واعترفت باسرائيل مع معاداة الاتجاهات القومية الراديكالية في المنطقة العربية والتحالف مع قوى الغرب مع بروز طابع توسعي في منطقة الخليج مثل المطالبة بضم جزر طنب الكبرى والصغرى وأبو موسى مما خلق توتراً بينها والعرب. هذا التوتر استغله الغرب بتصوير إيران بأنها خطر على العرب وذلك في مسعى واضح لشق الصف الإسلامي وإضعاف قوى المنطقة حتى لا تؤثر على ميزان القوى الإقليمي في الشرق الأوسط ويظل أمن إسرائيل غير مهدد.

(٣) الثورة الإسلامية في إيران:

تعد الثورة الإسلامية الإيرانية (١٩٧٩) أول ثورة إسلامية سياسية ناجحة في العصر الحديث فهي ثورة رائدة طرحت أفكاراً جديدة ولها خصوصيتها. فهي شكلت ظاهرة (الخمينية) جاءت بمنهج جديد وخطاب جديد واتهمها الغرب بمحاولة "تصدير الثورة"، وذلك لما لها من تأثير على المنطقة العربية فكرياً وآيديولوجياً ونفسياً ومعنوياً. وقد تحولت إيران إلى قوة إقليمية قوية مما دفع إسرائيل إلى ضرب مفاعلها النووي في عام ١٩٨١.

من مظاهر الثورة هو ما أحدثته من تغييرات خاصة "التحول في مراكز النخب الحاكمة. وقد شبَّه البعض ما وقع في إيران فى عام ١٩٧٩ بما حدث في روسيا عام ١٩١٧. فالنخبة الاجتماعية السياسية والتي بيدها مقاليد السلطة والحكم في إيران قد صُفيت – بعضهم لجأ للخارج ومَن بقي منهم بالداخل تم استبعاده من مواقع الفعل والتأثير."[١٢] فما حدث في إيران بعد الثورة تضمن عملية إعادة توزيع مراكز القوة في إيران يشكل مظهراً أساسياً من مظاهر التحولات الراديكالية. كذلك عملية تجنيد وتدريب نخبة جديدة تقوم بديلة لسابقتها . كما تحول مركز الاستقطاب من "المجتمع القومي" الذي كان قوامه رجال الأعمال والطبقات الحرفية إلى "الأمة الإسلامية" التي تشكل الطبقات الحضرية الوسطى الصغيرة عمادها الأول.[١٣] وسبب عمليات الإعدام والتصفية التي طالت العناصر القومية العلمانية إن المسافة الفاصلة بين هاتين

[١٢] المرجع نفسه، ص ٦٠.
[١٣] المرجع نفسه، ص ص ٦٠ – ٦١.

الجماعتين أصبحت في اتساع مستمر، خاصة من حيث الاعتبارات القيمية والسلوكية، وكأنما أصبحت تشكلان ثقافتين مختلفتين.[١٤]

يرى الباحثون العرب أن خطاب الثورة الإيرانية يشبه الثورة البلشفية والثورة الفرنسية من حيث أنه خطاب عالمي. ويرى خميني أن حكمه الذي يستند إلى الحكم الإلهي إنما ينشد تحرير المضطهدين من ظالميهم وتأيس فهم ذي بعد عالمي للإنسانية جمعاء، باعتبار أن ذلك هو السبيل إلى حياة أفضل وفاقاً مع مقاصد الشرع الإلهي والحق، فهو ينشد مدينة فاضلة تقوم على مجتمع يستمد هدايته من الله ويستلهم ارشادات من يتحدثوا باسمه تعالى هي الطريق لا إلى تحقيق الكفاية المادية والسعادة الروحية للإنسان فحسب بل وإلى الحرية الحقيقية وتوفير الامكانيات الكفيلة بتحقيق ذلك.[١٥]

وقد لاحظ أحد اساتذة العلوم السياسية الأمريكان أن مظاهر الثورة تتمثل في تنظيمات حراس الثورة ونظم المحاكم الثورية والأجهزة الأمنية الخاصة بالثورة، وكذلك تنظيمات الجهاد واختفت خطوط الفصل بين المؤسسات المدنية والثورية. وتحددت هوية الحزب الإسلامي ومعالم نظرية ولاية الفقيه وأصبحت هذه المؤسسات ذات كفاءة وقادرة على بناء القاعدة المؤسساتية لحكومة قائمة على حكم فريد لم يشهد العالم كله له حتى الآن مثيلاً. لكن الخميني تصرف بذكاء حتى لا يتحول الحكم الإسلامي في إيران إلى نظام شمولي سلطوي بروح دكتاتورية فوزع الصلاحيات بين مختلف مكونات الحكم في إيران. فاتسعت الصلاحيات الممنوحة لرئيس البرلمان وكذا لرئيس الجمهورية بصورة أبعد مما نصّ عليه الدستور. والحق فإن توزيع السلطات بلغ من الاتساع بحيث لم يعد ممكناً القول بأن فرداً أو مجموعة يمارسون سلطة دكتاتورية.[١٦]

وقد لاحظ أحد المستشرقين في العصر الحديث المهتمين بدراسة الثورة الإيرانية أن أهم خاصيتين بارزتين تحددان هوية الثورة الإيرانية هما: ارتباطها أولاً بشخصية قائد روحاني منقذ

---

[١٤] فرهنك رجائي، القيم الإسلامية والنظرة العالمية: آراء خميني عن الإنسان والدولة والسياسات الدولية (نيويورك: مطبعة الجامعة الأمريكية، ١٩٨٣م)، في: ريتشارد دبليو كوتام، الثورة الإيرانية: (دراسة ضمن بحوث قدمت لها الأستاذة نيكي كدي وجوان. آر. أي. كوله، نُشرت في كتاب: التشيع والرفض الاجتماعيShi'ism And Social Protest من منشورات جامعة كاليفورنيا، ١٩٨٦) أنظر عرفان فتاح، المصدر السابق، ص ٥٩.

[١٥] المرجع نفسه، ص ص ٦١ – ٦٢.

[١٦] المرجع نفسه، ص ٦٣.

ثم، ثانياً، قدرة هذه الشخصية الفائقة في التأثير على حلقة واسعة من المريدين المشدودين إليها. ومن هنا فإن قوة الهيمنة والتمكين في إيران تستند إلى عنصرين هما: قدرة المشدودين إلى السلطة على إثارة جماهير واسعة من المساندين لها من خلال استثمار الرموز والشعارات؛ وامتلاكها لأسبات تمكنها من جمع هذه الجماهير وتوحيدها في صورة تيار حاشد، بما في ذلك عصابات واسعة شأنها التحريض وإظهار القوة لمخالفيها بأنها قوية ومتماسكة. لهذا فإن من الممكن تصنيف النظام الإيراني بأنه قائم على السلطوية والشعبية معاً. وهو نظام مرتبط في نشأته بفترة ما اصطلح عليه بالجماهير المسيسة mass-politics.[١٧]

كما لاحظ أن الثورة الإيرانية فتحت المجال واسعاً للمشاركة السياسية وحققت حراكاً سياسياً شبيه بالديمقراطية الغربية. وحققت الثورة الإيرانية وعلى مدى القرن العشرين تحولاً بارزاً ومشهوداً في أنماط الهوية ومرتكزات الإنتماءات وكلاهما بؤر أساسية وعوامل حاسمة في تحديد الهوية الانتمائية. واستمرت عمليات التحول والتغيير في بعدين متوازيين يتمثل أولهما في حركة الجماهير ومطالبتها بالمشاركة في الحياة السياسية، ويتجسد ثانيهما في انتقال بؤر الهوية الجامعة من الارتكاز على العائلة باتجاه المجتمع الأوسع، فكان التحول في النخبة الحاكمة حتمياً.[١٨]

إن ما حدث في إيران في فبراير ١٩٧٨ مثّل ظاهرة لها مقدماتها التي تفسرها وتوضّح نسقها. فهي على الرغم من تفرّدها موصولة بأحداث في تاريخ إيران ترجع إلى قرون من الزمان. إن إيران الدولة التي فرضت التشيع قسراً على الواقع لصالح سياسة اقتضتها ظروفها قد وجدت نفسها محكومة بإطار ديني مذهبي، أحادي النظرة. كما لاحظ آخرون أن النخبة الدينية الراديكالية التي أفلحت في حشد الجماهير المساندة للثورة كانت نخبة ضيقة اعتمدت في امكاناتها في السيطرة والتوجيه على شخصية قائد روحي ملهم، ومن ثم فهي قد تواجه صعوبات البقاء والديمومة.[١٩] غير أن البعض الآخر يرى أن "الثورة الإسلامية ما تزال {العقد الأول من

---

[١٧] المرجع السابق، ص ٦٣.

[١٨] المرجع نفسه، ص ص ٧١ – ٧٢.

[١٩] نورمان كالدر، الاتجاهات التوفيقية والنزعات الثورية في فقه الشيعة الإمامية، في: عرفان عبد الحميد فتاح، المصدر السابق، ص ١٥٤.

الألفية الثالثة} حية وبحالة جيدة، على الرغم من الثورة كبحت الكثير من إفراطها وأصبحت ذات طابع مؤسساتي. [٢٠]

بصورة عامة يرى البعض أن الإسلام في إيران يقوم على نموذج تاريخي صفوي – أي نموذج الدولة الإيرانية الصفوية. ويرى البعض الدولة الإيرانية الإسلامية الحديثة بأنها اختارت نموذجاً جمهورياً مركباً قائما على ولاية الفقيه الذي يمثل الاستمرارية التاريخية لفكرة الإمامة، بالإضافة إلى رئيس الجمهورية ومجلس صيانة الدستور ومجالس الشورى المنتخبة دورياً وتمثل فكرة التداول في السلطة. [٢١]

وحسب جوهر الدستور الإسلامي الإيراني فقد حافظ على فكرة الحكومة الإسلامية وإسلامية المؤسسات ورئاسة الدولة حسب الفقه الجعفري وبذلك ابتدع نظام مواطنة إسلامية. وللنظام الجمهوري جذور في فكر المعتزلة، في أصولهم الخمسة حيث جاء ترتيب حكم العقد الاجتماعي للدولة والمجتمع على أساس التوحيد، العدل، ثم الوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمروف والنهي عن المنكر. [٢٢]

(٤) تهديد الثورة الإيرانية:

تأثر تيار الثورة بالصراع بين السلطة السياسية والمؤسسة الدينية ومرجعيته التقليدية مقروناً بصراع بين التيار الإصلاحي والتيار المحافظ؛ إضافة إلى التدخل الأجنبي الذي إزداد في عصر الأحادية القطبية. وتواجه إيراني معارضة الغرب لها في تصنيعها النووي. وقد أشار الرئيس الإيراني أحمد نجادي "إن امتلاك تكنولوجيا نووية سلمية هو مطلب الأمة الإيرانية وعلى الحكام بذل قصارى جهدهم لتحقيق هذا المطلب الشعبي... إنهم {الأمريكان} لن يسمحوا لنا بالتقدم بسهولة ولكن علينا أن لا نستسلم لإرادتهم." [٢٣]

---

[٢٠] مايكل هيرش، نيوزويك، ١٠ يوليو ٢٠٠٧.

[٢١] حسن مكي محمد أحمد (بروفيسر)، الحركة الإسلامية: المفاهيم وشهادة الميلاد، في: هويدا صلاح الدين العتباني (محرر)، قضايا وإشكالات الدولة الإسلامية المعاصرة: السودان نموذجاً، (ورشة عمل مركز دراسات السلام والتنمية، جامعة جوبا، الخرطوم، بالتعاون مع مؤسسة فريدريش الألمانية، أغسطس ٢٠٠٦)، ص ٢٠.

[٢٢] ، المرجع نفسه، ص ٢٠.

[٢٣] محمد حامد الدين، مجلة رؤى، العدد الخامس، أكتوبر ٢٠٠٥، في: جعفر التاج، المصدر السابق، ص ٣٥.

يرى برنارد لويس أن تأثير الثورة الإيرانية في العالم العربي قد تأخر بسبب الحرب الإيرانية–العراقية (١٩٨٠ – ١٩٨٨). لكن بعد نهاية الحرب بدأ ينمو النفوذ الإيراني لا سيما وسط الشيعة في الدول المجاورة. تغيير الحكومة في العراق في عام ٢٠٠٣ أعطى مزيد من الأمل للشيعة بزيادة تأثيرهم ونفوذهم وأصبح الشيعة موضوع رئيس في السياسة العربية. تصاعد النفوذ الشيعي ارتبط بمسألة أنهم أغلبية في العراق وأنهم يشكلون نسبة معتبرة في كل من لبنان وسوريا وأجزاء من شرق وجنوب شبه الجزيرة العربية. ويلاحظ لويس ظاهرة تحمل نوعا من التناقض من حيث أن هنالك صراع داخلي بين الشيعة والسنة بينما هنالك تحالف بينهما في مواجهة الكفار(مثال واحد: الدعم الإيراني لكل من حماس السنية القوية في غزة ودعم لحزب الله الشيعي القوي في لبنان).[٢٤]

مقروناً بمناخ التوتر الذي ساد العلاقات الإيرانية الأمريكية دفع الملف النووي الإيراني العلاقة بين ظهران وتل أبيب إلى المزيد من الاحتقان، أو فاقم من التوترات القائمة أصلاً الممتدة منذ أكثر من ثلاثة عقود – منذ الثمانينات وحتى بداية الألفية الثالثة. وظلت إسرائيل تحاول تأليب الرأي العام العالمي ضد ملف إيران النووي، وظلت تحث الغرب على عرقلة مشروع إيران النووي حيث يرى الاسرائيليون أنه إذا لم تحدث عراقيل خارجية فإن إيران ستمتلك خلال فترة وجيزة استقلالية تكنولوجية في كل ما يتعلق بتخصيب اليورانيوم ثم تمتلك المادة المشعة بكمية كافية لتصنيع القنبلة.[٢٥] وجاء في التقرير السنوي لمعهد الدراسات الاستراتيجية في جامعة تل أبيب الذي نُشر في يناير ٢٠٠٧م أن إيران في طريقها لامتلاك السلاح النووي ما لم تتعرض منشأتها النووية لضرب عسكرية، وأن إسرائيل يجب أن تكون قادرة على الإضطلاع بهذه المهمة. كما أشارت تقارير أمريكية إلى احتمال استخدام الولايات المتحدة قواعدها العسكرية المحيطة بإيران من اتجاهات عدة – العراق، أفغانستان، أذربيجان إضافة إلى قاعدة ديغو غارسيا العملاقة في المحيط الهندي فضلاً عن تشكيلاتها وحاملات طائراتها في بحر العرب وعموم المنطقة لتوجيه

جعفر التاج، المصدر السابق، ص ٤٥.

[24] Bernard Lewis. *The Arab World in the Twenty-first Century*. **Foreign Affairs**, Volume 88, No. 2, March/April 2009, p. 85

[٢٥] جعفر التاج، المصدر السابق، ص ٤٥.

ضربة عسكرية لإيران.[٢٦] لكن يرى المراقبون، على الرغم من ذلك، إن إيران تتمتع بأنظمة دفاع جوي يبدو أنها ذات قدرة على خلخلة مفهوم السيطرة الجوية وفقاً للمعطيات والخصائص التقنية المعروفة وهي تتمثل بصفة أساسية بنظام (Tor-M-1) الروسي. إضافة إلى قدرتها على الرد الانتقامي باستخدام قدرتها الصاروخية البالستية، والأبرز على هذا الصعيد هو صاروخ شهاب-٣ الذي يعد نسخة محسنة من صاروخ (Nodong) الكوري الشمالي.[٢٧]

لقد كانت إيران تشكل تهديداً لاسرائيل وكادت أن تدخل في حرب معها بعد أن دخلت في أزمة مع الغرب في موضوع الملف النووي وذلك حتى عام ٢٠١٠. لكن بعد اندلاع ثورة الربيع العربي (٢٠١١- ٢٠١٢) وخاصة في سوريا وأصبحت إيران لاعب إقليمي رئيسي تغيرت لغة الولايات المتحدة معها واتجهت إلى معالجة الملف النووي بالحوار والطرق السلمية. وذلك لأن الولايات المتحدة الأمريكية رأت في موقف إيران من الأزمة السورية يخدم مخططها في المنطقة بضرب التيار السلفي مثل القاعدة وجبهة النصرة وتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش). كما يرى بعض المحللين أن أمريكا ربما تسعى لتطبيق سياستها مع الاتحاد السوفيتي السابق مع إيران وذلك من خلال الزج بها في حروب إقليمية تستنزف اقتصادها وتؤدي إلى انهيار إمبراطوريتها كما حدث للإتحاد السوفيتي السابق. لذلك يتساءل البعض: هل تعلم إيران أن القوى الكبرى سمحت لها أن تتمدد كي تتبدد؟ ولماذا لا تتعلم إيران من الاتحاد السوفييتي الذي كان من الخارج رُخاماً، ومن الداخل سُخاماً؟[٢٨]

بينما استخدم السوفييت أسطورة الشيوعية لخلق قوة عالمية، ها هي إيران تستغل الآيديولوجية الدينية المذهبية للتمدد في أكثر من مكان في هذا العالم، فهي لا تكتفي بتطبيق نظرية ولاية الفقيه داخل البلاد والحكم بموجبها، بل تحاول تصدير ثورتها التي لطالما هددت الجيران بها، لكن هذه المرة بطرق جديدة تقوم على دعم المذهب الشيعي هنا وهناك واستخدام الشيعة خارج حدودها في معاركها وحروبها التوسعية، وإذا لزم الأمر لا بأس في تشييع الآخرين، تماماً كما كان يفعل السوفييت الذين جندوا ملايين الأشخاص في العالم تحت راية المطرقة

---

[٢٦] المرجع نفسه، ص ٤٧.

[٢٧] نفسه، ص ٤٨

[٢٨] فيصل القاسم، لماذا لا تتعلم إيران من الاتحاد السوفييتي البائد؟، مقال في صحيفة القدس العربي، لندن، ٢٠١٥/٣/٢٧.

والمنجل. فالاستراتيجية الإيرانية في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا مثلاً لوجدناها تقوم بشكل مفضوح، إما على دعم الشيعة في هذا البلد أو ذاك بهدف إيصالهم إلى سدة الحكم، حتى لو تطلب ذلك الانقلاب على الأنظمة الحاكمة، كما في العراق والبحرين ولبنان واليمن، أو العمل على نشر التشييع حتى لو كان في شمال إفريقيا كالمغرب وتونس ومصر والسودان والجزائر وبلدان أخرى[٢٩].

لقد شكّل العراق على مدى فترة حكم الرئيس الراحل صدام حسين عقبة كأداء في وجه التمدد الإيراني وتصدير الثورة خارج الحدود، لكن المؤسسة الحاكمة في طهران لم تيأس من الاستيلاء على العراق، فقد تحالفت مع الأمريكيين عندما غزوا العراق بشهادة نائب الرئيس الإيراني علي أبطحي الذي قال حرفياً: "لولا إيران لما استطاعت أمريكا غزو العراق وأفغانستان". وبعد خروج الأمريكيين من العراق وقعت بلاد الرافدين كالثمرة الناضجة في الحضن الإيراني، كما كان يطمح ويخطط الإيرانيون منذ عقود. وبذلك أزاحوا كل ما يمت بصلة للنظام السابق، وعينوا مكانه أزلامهم. وقبل استيلاء الإيرانيين على العراق طبعاً، كانوا قد استولوا على سوريا خلسة من خلال معاهدات استراتيجية، ثم كشّروا عن أنيابهم بشكل صارخ في الآونة الأخيرة بعد أن راحت الميليشيات الإيرانية تقاتل إلى جانب النظام السوري علناً بقيادة قاسم سليماني، ناهيك عن أنهم ثبتوا أقدامهم في لبنان منذ السبعينيات. وقد ظهر نفوذهم في بلاد الأرز بشكل صارخ بعد أن أصبح حزب الله الحاكم الحقيقي للبنان بقوة السلاح[٣٠].

وبعد أن استحوذوا على العراق وسوريا ولبنان، راح الإيرانيون يعزفون على الوتر القديم في البحرين من خلال مظلومية الشيعة وأحقيتهم في حكم البلاد، وذلك من خلال إثارة القلاقل ودفع أتباعهم للثورة على نظام الحكم. ففي الوقت الذي كانوا يعاونون النظام السوري لإخماد ثورة شعبية حقيقية، راحوا يساعدون شيعة البحرين للانقلاب على الدولة. ولولا الجهود الغربية والعربية لتمكن أتباعهم من الوضع في البحرين، كما تمكنوا في العراق ولبنان. وكما فعلت في لبنان، ها هي إيران تقتحم اليمن بعد أن وفرت لأزلامها الحوثيين كل وسائل السيطرة على البلاد. وها هم

[٢٩] فيصل القاسم، المصدر السابق.
[٣٠] المصدر نفسه.

الحوثيون وقد سيطروا مؤقتاً ليكتمل الهلال الشيعي الذي تحدث عنه العاهل الأردني عام ٢٠٠٤.[٣١]

لكن رغم تشابه التجربتين السوفييتية والإيرانية في التمدد خارج البلاد عبر الأساطير الأيديولوجية والروحية، إلا أن التجربة الإيرانية تعتبر أكثر خطورة، فالانتماء العقائدي السياسي السوفييتي انتهى في كل أنحاء العالم تقريباً بسقوط الاتحاد السوفييتي، بينما الانتماء المذهبي والتشييع الذي تعتمد عليه إيران في المنطقة لتوطيد نفوذها سيكون شرارة قد تشعل حروباً مذهبية لا تبقي ولا تذر. وتتجلى ملامح هذه الحروب في رد الفعل العربي والإسلامي على التورط الإيراني الفاضح في سوريا والعراق ولبنان واليمن. ومن الواضح تماماً أن إيران تلعب لعبة خطيرة للغاية سيذهب جراءها ضحايا كثيرون من السنة والشيعة على حد سواء. فاليمن يشتعل على أساس مذهبي، وكذلك العراق وسوريا ولبنان. وإيران نفسها بدأت تدفع أثماناً باهظة جداً لحروبها التوسعية، ليس فقط من ثرواتها، بل أيضاً من أشلاء أبنائها، خاصة بعد أن بدأت مئات الجثامين تصل طهران من ساحة الحرب السورية والعراقية واليمنية.

مع ذلك، شاهدنا في الآونة الأخيرة بعض الساسة الإيرانيين يتفاخرون بهيمنة إيران على أربع عواصم عربية، وبأن بغداد أصبحت عاصمة الامبراطورية الفارسية الجديدة. وهذا صحيح من حيث الشكل، لكن العنتريات الإيرانية حول انتصاراتها الخارجية تخفي وراءها خوفاً رهيباً من كوارث الداخل الإيراني. فمن عادة إيران تاريخياً أن تستعين على قضاء حاجاتها بالسر والكتمان والتقية، لكنها هذه المرة تبالغ في تبجحها بانتصاراتها وفتوحاتها الخارجية. وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على خوفها من الداخل المتداعي. فهي تحاول أن تزيّن وضعها البائس داخلياً بنشوة النصر خارجياً. لكن الفتوحات الخارجية يقابلها داخل متردٍ واقتصاد منهار وشعب يتململ ضد السياسات الخارجية التي أفرغت الخزينة الإيرانية على مشاريع عسكرية وتوسع خارجي لم يجلب للإيرانيين سوى المصائب والفقر والجثامين المقتولة في سوريا والعراق واليمن ولبنان.[٣٢]

لقد كان الاتحاد السوفييتي قبل انهياره يمتلك ترسانة نووية قادرة على تدمير العالم ثلاثين مرة، لكنه انهار كبيت العنكبوت، لأنه كان خرباً من الداخل، فلا قيمة للفتوحات الخارجية إذا

[٣١] فيصل القاسم، القدس العربي، المصدر السابق.
[٣٢] فيصل القاسم، المصدر السابق.

كان الشعب في الداخل يعاني الأمرّين اقتصادياً واجتماعياً. وهو حال إيران الآن، حيث يعيش أكثر من ستين بالمائة من الإيرانيين تحت خط الفقر، بينما تبذر القيادة أموال الشعب على تدعيم بشار الأسد في سوريا وشراذم الحوثيين في اليمن والميليشيات اللبنانية. ولولا أموال العراق لكن وضع إيران الداخلي أسوأ بكثير.[٣٣]

(٥) الخطر الإيراني على العرب عبر المسألة اليمنية (الحوثيين):

قبل أحداث اليمن الأخيرة وتدخل إيران فيها عبر دعمها لجماعة الحوثي (الشيعية) كانت إيران تثير القلاقل مع جاراتها العرب من حين إلى آخر. كما أنها تحتل الجزر الثلاث: طنب الصغرى وطنب الكبرى وأبو موسى. قد أصدر مجلس الشورى الإسلامي بيانا في ٢٠١٣/٢/٢٠ جدد ملكيته للجزر، وهو البيان الذي ندد به المجلس الوطني الاتحادي (البرلمان) بدولة الإمارات العربية بما تضمنه بيان صادر عن مجلس الشوري الإسلامي الإيراني بشأن الجزر الثلاثة . وقد أكد البرلمان بدولة الإمارات "سيادة دولة الإمارات على جزرها الثلاث المحتلة من قبل إيران." وكانت لجنة الأمن القومي والسياسية الخارجية بالبرلمان الإيراني قد أصدرت بيانا قالت فيه إن "إيران تعتبر قضية سيادتها على هذه الجزر الثلاث أمر غير قابل للنقاش .. وكافة التدابير والإجراءات المطبقة في هذه الجزر قد جرت دوما على أساس مبدأ سيادة جمهورية إيران الإسلامية على أراضيها .. وما يصدر عن الإمارات في هذا الشأن تدخل في الشؤون الإيرانية نرفضه بالكامل."[٣٤] واعتبر البرلمان الإماراتي أن البيان الإيراني "يأتي في سياق ادعاءات نرفضها"، مطالبا إيران "بالاستجابة للنداءات والمبادرات المتكررة التي توجهت بها الدولة لإنهاء احتلالها لهذه الجزر وفقا لمبادئ القانون الدولي."[٣٥]

لقد أصبح السلوك السياسي الإيراني يثير القلق لكثير من دول الخليج مما دفع بها إلى إنفاق أموال ضخمة للتسليح في ظل استمرار إيران في بناء ترسانة حربية ضخمة ربما تهدد الأمن الإقليمي في المنطقة. فقد "أنفقت دول الخليج العربية ١٢٣ مليار دولار على ما وصفت بأنها واحدة من أكبر عمليات إعادة التسلح في التاريخ في وقت السلم، في إطار سعيها لمواجهة قوة إيران العسكرية. جاء ذلك فيما تسلمت الوحدة الجيوفضائية بقوات حرس الثورة الإيرانية في

---

[٣٣] المصدر نفسه.
[٣٤] صحيفة القدس العربي، لندن، ٢٠١٣/٢/٢١
[٣٥] المصدر نفسه.

سبتمبر ٢٠١٠ الدفعة الأولى من الجيل الثالث لصواريخ أرض أرض' فاتح -١١٠.' "[٣٦]
واستأثرت السعودية بما قيمته ٦٧ مليار دولار من هذا الحشد العسكري لشراء أسلحة من الولايات المتحدة في إطار اتفاق وفّر دفعة قوية لصناعة الدفاع الأمريكية، وحصلت الإدارة الأمريكية على تصديق الكونغرس على المرحلة الأولى منه والتي قُدرت قيمتها بنحو ٣٠ مليار دولار.'
وأن السعودية ربما حصلت في إطار الصفقة على ٨٥ مقاتلة جديدة من طراز (أف ١٥) وتطوير ٧٠ مقاتلة أخرى من مقاتلاتها، وستكون شركة بوينغ المورد الرئيسي ما سيتيح لشركات الأسلحة الامريكية تعزيز قدرتها على تصنيع الطائرات العسكرية المتطورة ضمن منطقة كانت تقع تحت ضغط المنافسة، ويُتوقع أن تبرم اتفاقاً آخر مع الولايات المتحدة لتطوير أجهزة الرادار وأنظمة الدفاع الصاروخي وتحديث أسطولها من السفن الحربية'. ونسبت إلى مصدر سعودي قوله 'الهدف السعودي هو توجيه رسالة خاصة إلى الإيرانيين بأن لدينا تفوقاً جوياً كاملاً عليهم[٣٧].'
وأشارت تقارير صحفية إلى أن الإمارات وقّعت أيضاً عقوداً لشراء معدات عسكرية تتراوح قيمتها بين 35 و ٤٠ مليار دولار، وحصلت على الضوء الأخضر لشراء صواريخ ثاد المضادة للصواريخ والتي تعمل على تطويرها شركة لوكهيد مارتن، كما وقّعت الكويت عقوداً لتطوير أنظمة صواريخ باتريوت الدفاعية.
وقالت 'فايننشال تايمز' إن سلطنة عُمان ستنفق ١٢ مليار دولار على شراء ١٨ مقاتلة جديدة من طراز (أف ١٦) وتطوير ١٢ مقاتلة أخرى، فيما ستنفق الكويت ٧ مليارات دولار على استبدال وتطوير طائراتها الحربية وشراء أنظمة جديدة للقيادة والتحكم، مشيرة إلى أن القيمة الإجمالية لجميع صفقات الأسلحة بين الولايات المتحدة وكل من السعودية والإمارات وسلطنة عمان والكويت ستصل إلى ١٢٢.٨٨ مليار دولار[٣٨].
وأشار التقرير إلى أن هذا الإقبال المتزايد على شراء الأسلحة يأتي في وقت تشعر فيه دول كثيرة في الشرق الأوسط بقلق متزايد إزاء طموحات إيران النووية، وتخشى أيضاً من احتمال قيام طهران بالانتقام منها إذا ما تعرضت منشآتها النووية لهجوم من قبل إسرائيل أو الولايات المتحدة. ونسبت إلى أنطوني كوردسمان من مركز الدراسات الإستراتيجية والدولية في واشنطن قوله 'إن مبيعات

[٣٦] القدس، ٢٠١٠/٩/٢١ (تقرير إخباري بعنوان: دول الخليج العربية تتسلح بـ ١٢٣ مليار دولار لمواجهة قوة ايران العسكرية والحرس الثوري يتسلم صواريخ جديدة من طراز فاتح-١١٠)

[٣٧] المصدر نفسه.
[٣٨] القدس، المصدر السابق، ٢٠١٠/٩/٢١

الأسلحة ستعزز مستوى الردع الإقليمي وتساعد على التقليل من حجم القوات الأمريكية التي يمكن نشرها في منطقة الشرق الأوسط.' وأن قائد الوحدة الجيوفضائية في قوات حرس الثورة تسلم هذه الدفعة من الصواريخ بحضور وزير الدفاع العميد أحمد وحيدي وقائد سلاح البحر بقوات الحرس الثوري[٣٩].

وتوقع خبراء على أن 'استخدام هذه الصواريخ من شأنه أن يزيد من النشاط العملياتي للوحدة الصاروخية التابعة للوحدة الجيوفضائية لقوات الحرس الثوري بشكل ملحوظ'. يشار إلى أن الجيل الثالث من الصاروخ 'فاتح –١١٠ ' يعمل بالوقود الصلب، وأبعد مدى وأكثر دقة من الأجيال السابقة التي يتراوح مداها بين ١٥٠ و٢٠٠ كيلومتر.

وقد شكك الرئيس التركي عبد الله غول في فعالية العقوبات كوسيلة لوقف الطموحات النووية الإيرانية، مجدداً التشديد على أن علاقات بلاده مع إسرائيل لن تتحسّن حتى تعتذر الدولة العبرية عن الهجوم على أسطول الحرية في مايو ٢٠١٠. وقال غول في مقابلة مع صحيفة 'وول ستريت جورنال' أن تركيا مصممة على تفادي انتشار الأسلحة النووية وتدفع باتجاه حل دبلوماسي للمأزق النووي الإيراني. وأضاف أن تركيا تتعاون بشكل نشيط 'مرئي وغير مرئي' مع الولايات المتحدة وغيرها في الجهود للتوصل إلى اتفاق لمنع إيران من تطوير ترسانة نووية. وقال غول الذي كان يشارك في اجتماعات الدورة الجمعية العامة للأمم المتحدة في نيويورك (لعام ٢٠١٠) أن تركيا تلتزم بالعقوبات التي فرضها مجلس الأمن الدولي على إيران، إلاّ أنه أكد أن الإجراءات الاقتصادية العقابية على طهران 'غير منتجة'. وأن مثل هذه الخطوات تثير الكراهية والعدائية بين الإيرانيين[٤٠].

يرى البعض أن إيران تسعى لاستنساخ تجربة حزب الله اللبناني في اليمن. ويصف المسؤولون والإعلام الإيراني علي عبدالله صالح بأنه كان طاغية وديكتاتورا وارتكب جرائم عديدة بحق الشعب اليمني، منذ سقوط حكمه في عام ٢٠١١، وأنه نهب ثروات اليمن ودمّر الاقتصاد والبنية التحتية للبلاد. وما أكثر التصريحات المماثلة عن علي عبدالله صالح وجماعته في الإعلام

[٣٩] المصدر نفسه.
[٤٠] القدس العربي، لندن، ٢٠١٠/٩/٢١

الإيراني، لكن في الوقت ذاته يحاول النظام الإيراني توطيد التحالف والنقاط المشتركة بين ذراعه في اليمن أي جماعة أنصار الله الحوثية وجماعة السابق علي عبدالله صالح.[٤١]

بدأ يتضح لشعوب المنطقة والنخب العربية أسلوب المراوغة والدعاية العدائية التي تمارسها طهران بهدف الاستقطابات وزرع عملاءها وتشكيل جماعات موالية لها. وتنشط إيران منذ فترة أكثر من عقدين للتجنيد الطائفي في تانزانيا وبذلت أموالا كثيرة في هذا البلد الأفريقي الفقير وتمكنت من استقطاب شريحة من مسلمين هناك وضمهم إلى مشروعها الطائفي ذات الطابع الشيعي. وخلال السنوات القليلة الماضية اتسع النشاط الإيراني ليشمل الصومال والجيبوتي ومؤخراً جزر القمر. ويتناغم المشروع الإيراني في منطقة القرن الأفريقي مع المخطط الغربي لإثارة الفتن وتفكيك الدول بهدف سرقة الثروات ومشاريعهم السياسية الخاصة في هذه المنطقة وفي أفريقيا بشكل عام. وعلى سبيل المثال وليس الحصر، أخيراً بدأت بعض وسائل الإعلام تسلط الضوء على النشاط الكثيف الإيراني لنشر الطائفية في الصومال تحت غطاء ترويج التشيع والمساعدات الإنسانية وتقوية العلاقات مع جيبوتي، حيث تكاثرت زيارات المسؤولين الإيرانيين وتواجد السفن الحربية الإيرانية في شواطئ جيبوتي، فضـلاً عن تجنيد الحكومة العراقية للاجئين الصوماليين ومن جنسيات أخرى أفريقـية في أوروبا. ونظراً لهذا الأمر يمكن القول إن المخطط الإيراني في اليمن هو الحلقة المكملة للمخطط الغربي لتفكيك وتدمير اليمن بهدف استكمال المشروع الغربي للسيطرة على مضيق باب المندب الاستراتيجي ومنطقة القرن الأفريقي الحساسة.[٤٢]

ومنذ عام نهاية العام ٢٠١٤ وبداية العام ٢٠١٥ تحاول إيران أن تمنع تصعيد الموقف في اليمن لتثبيت انتصارات ذراعها الحوثي عبر توطيد علاقات جماعة أنصار الله مع الجهات الفاعلة والمؤثرة في الساحة اليمنية، وعلى الرغم من أن جماعة الحوثي تعتبر حليف جماعة علي عبد الله صالح، لكن عدة لقاءات تمت بين جماعة عبد ربه منصور والحوثيين بوساطة عمانية وبعض المحاولات للتفاوض مع حزب الإصلاح اليمني.

---

[٤١] محمد المذحجي، http://www.alquds.co.uk/?p=295794

[٤٢] المصدر نفسه.

في هذا السياق شنّت الجمهورية الإسلامية دعاية واسعة لوصفها جماعة أنصار الله الحوثية بأنها جزء من "محور المقاومة" وستحارب أعداء الإسلام والصهيونية والاستكبار. حيث أعرب مستشار المرشد الأعلى الإيراني للشؤون الدولية، علي أكبر ولايتي، عن فرحه وارتياحه بسبب الانتصارات الأخيرة لجماعة أنصار الله في اليمن، مؤكداً في إشارة إلى الشعار الشهير "طريق القدس يمر عبر كربلاء" الذي أطلقه الخميني إبان الحرب الإيرانية العراقية، إن "طريق تحرير فلسطين يمر عبر اليمن، ويجب علينا أن ندعم المسلمين الذين يحاربون أعداء الإسلام وسنواصل هذه السياسة."[٤٣] وقد بدأت إيران في دعم وتسليح الحوثيين في شمال اليمن منذ يناير ٢٠١٤ كما أنها بدأت تدعم الحراك الجنوبي في الجنوب.

الواضح أن هدف حكام طهران من هذه الدعاية هو استقطاب أكبر عدد ممكن من الناس والرأي العام الذين يطمحون لتحقيق المزيد من الانتصارات على الكيان الصهيوني. ومن جانب آخر وهو الأهم، تحاول طهران أن تعطي نموذجاً ناجحاً للجماعات الموالية لها في المنطقة وتكرس في الأذهان أنها اليد المسيطرة ومشروعها هو الناجح في المنطقة. والتصريحات الأخيرة لمدير مركز الدراسات الاستراتيجية والعلاقات الدولية الإيراني، أمير موسوي، التي أدّعى فيها أن القوى العراقية غير منظمة في مواجهة الإرهاب، وأن العراق يحتاج إلى شخص مثل عبد الملك الحوثي لكي يكون قادرا بشكل منظم على خوض المعركة هناك، أثارت ضجة واسعة بين الميليشيات الشيعية وطالبوه بالاعتذار[٤٤].

وفي يناير ٢٠١٥ صرح ممثل الولي الفقيه في فيلق القدس التابع للحرس الثوري، علي شيرازي، "جماعة أنصار الله في اليمن هي نسخة مماثلة لحزب الله في لبنان. وتشابه أيضاً الحشد الشعبي في العراق وسوريا"، مؤكداً أنه تم إنشاء حزب الله في لبنان قبل سنوات عديدة، واستمرارا للنهج اللبناني نفسه تم إنشاء مجموعات مشابهة في العراق وسوريا. وأضاف أنه يتم اليوم القيام بالعملية نفسها في اليمن. وهذا يعني اعتراف صريح بالمخطط الإيراني الذي يرمي إعادة مجد الإمبراطورية الفارسية.

[٤٣] محمد المذحجي، المصدر السابق
[٤٤] المصدر نفسه.

تسعى إيران عبر إلحاحها المتواصل حول أن جماعة أنصار الله الحوثية هي نسخة مماثلة لميليشياتها في العراق وسوريا وعلى وجه التحديد حزب الله اللبناني، لإيصال رسالة بأنها جاهزة لاستخدام التمرد الحوثي لمحاربة تنظيم الدولة والقاعدة والجماعات المتطرفة الأخرى، وأنها جاهزة للتفاوض من أجل فرض الأمن والاستقرار والسلام مع دول المنطقة كالمملكة العربية السعودية ومصر. كما وصف نائب وزير الخارجية الإيراني للشؤون العربية والأفريقية، حسين أمير عبد اللهيان، أن الأحداث الأخيرة في اليمن رفعت مستوى الأمن في المنطقة بأسرها، وأن الظروف أصبحت صعبة جداً للإرهابيين في هذا البلد، وأشار إلى أن جماعة الحوثي تدفع اليمن بالاتجاه الصحيح. وقال إن أنصار الله يتعاونون في اتجاه دفع العملية السياسية ومكافحة الفساد والإرهاب في اليمن، وإنهم يتحركون بشكل ذكي ووفقاً لمطالبات الشعب اليمني. وأكدت مصادر مطلعة أن إيران أمرت جماعة أنصار الله بعدم الاقتراب من مضيق باب المندب لعدم إزعاج الحكومة المصرية[٤٥].

إذن تحاول إيران أن تصب كل تركيزها خلال الفترة المقبلة على تثبيت "النصر المؤزر والباهر" للحوثيين كما وصفه الرئيس الإيراني حسن روحاني، وتحاول أن تستنسخ تجربتها التاريخية الناجحة في زرع الفتنة في لبنان منذ بدء النشاط الطائفي لموسى الصدر إلى إنشاء حزب الله وصولاً إلى انخراط الحزب في الحكومة مع حفظ قدرته العسكرية الخارجة عن القانون، وتطبيقها على اليمن السعيد.[٤٦]

وقد لاحظ البعض أن ما تقوم به إيران هو نتاج لفراغ استراتيجي كبير حدث في منطقة الشرق الأوسط منذ انهيار الامبراطورية العثمانية. إيران انطلقت في حالة فراغ، واستطاعت أن تتمدد في مسامات كانت فارغة بفعل واقعنا العربي المتشظي، ولكن إيران أيضا في تمددها ذهبت أبعد مما تستطيع هي أن تحمل، واستفزت فينا جميعا، في المنطقة عموما، سواء كنا عربا أو تركا أو مسلمين ممن نسمي أنفسنا "أهل السنة"، استفزت فينا شيئا جديدا لم نكن نأمل أن نصل إليه، وهو "الشعور بسنيتنا"، مع أنني أعتقد، وما زلت على قناعة تامة، بأن أهل السنة ليسوا مذهبا ولا ينبغي أن ينظروا لأنفسهم على أنهم أهل مذهب، لكن الذي حدث في واقع الأمر أن نوازع الصراع والتحفز وصلت إلى درجة مستفزة أدت إلى ما نقف ونتحدث عنه هذا اليوم، فإيران

[٤٥] المصدر نفسه.
[٤٦] محمد المذحجي، المصدر السابق.

استطاعت أن تصل إلى مرحلة استطاعت فيها استفزاز كوامن الغضب وانطلقت هذه الحملة التي نسميها "مذهبية"، سنة وشيعة، في واقع صعب.[٤٧]

ويحذر خبراء من أن يختلط الصراع الاستراتيجي من أجل المصالح والنفوذ بالصراع الديني الذي ينبغي جميعا أن نحمي أنفسنا من أن نتورط فيه، لأن الصراع الديني نهاياته مذبحة، والصراع السياسي نهاياته تصالح، ولا ينبغي أن يختلط ما نهايته المطلقة هو اقتلاع الناس أو تدمير وجودهم مع مصالح السياسة المؤقتة التي تختفي أو التي تنشأ وتنتهي وفقا للمصالح، فهذه قضية في غاية الأهمية، وأحمّل نخبنا وسياسيينا المسؤولية في أن ينجرفوا في مثل ذلك الصراع الدموي الذي يمكن أن يترك علينا جميعا أعباء ثقيلة لقرون قادمة"[٤٨].

خاتمـــــة:

بغض النظر عن الاختلاف في تقييم تجربة الثورة الإسلامية الإيرانية إلا أنها تظل حافزاً للعديد من الحركات الإسلامية لتأسيس نموذج جديد. ويبدو لو أنها كانت سنية – وليست شيعية – لكان تأثيرها أكبر على العالم الإسلامي ولأحدثت تغييرات جذرية في النظم السياسية في كثير من الدول العربية والإسلامية. إلا أن تحفظ الدول الإسلامية/العربية – التي تتبع المذهب السني – ربما حدّ من انتشار هذا النموذج الجديد. كما أن النزعة "التوسعية" لإيران هو الذي خلق المزيد من الفجوة بينها والدول ذات الأغلبية السنية. وأخطر ما هذا التوسع هو الذي يتم على أساس آيديولوجي/مذهبي. فقد باتت الكثير من الدول تخشى من "ظاهرة التشيع" وقد اضطرت الحكومة السودانية في العام ٢٠١٤ إغلاق "الحسينيات" الإيرانية في السودان.

إن التوسع الإيراني الراهن في المنطقة ناتج عن حالة الفراغ التي حصلت بسبب عدم وجود مشروع عربي، متوقعا أن يكون الصراع مع إيران في هذه المنطقة طويلاً وقد يأخذ عقود من الزمان ووفقاً لقواعد لعبة جديدة. ويجب أن يتحول "تحالف عاصفة الحزم" إلى تحالف مستمر – ليس ضد إيران – بل لتوحيد المسلمين ضد المؤامرات والفتن الكبرى التي تحاول أن تزرعها جهات خارجية تسعى لتمزيق الأمة الإسلامية وإلى تقديم صورة مشوهة للإسلام لدى الرأي العام العالمي.

---

[٤٧] وضاح خنفر: الصراع مع إيران طويل...، ورقة في منتدى الجزيرة التاسع، الدوحة/قطر. أنظر: موقع عربي، ٢٠١٥/٥/٧

[٤٨] وضّاح خنفر، المصدر السابق.

ومع ذلك هناك فرص لاحتواء الخطر الإيراني بصورة إيجابية. فإيران قوة إقليمية لا يمكن استبعادها، وهي أيضا يمكن أن تشكل إضافة للدول الإسلامية بدلاً من أن تكون خصماً عليها. تتمثل هذه الفرص في إعادة إحياء المشتركات الحضارية بين الفرس والعرب. فقد كانت هناك علاقات قديمة بين الفرس والعرب قبل ظهور الإسلام. كما أن الحضارة الإسلامية بصفتها حضارة منفتحة تكيفت وتفاعلت مع الحضارات الأخرى من بينها الحضارة الفارسية (الساسانية). لذلك يمكن تجاوز هذه الاختلافات المذهبية بالتركيز على الأصول الواحدة للدين الإسلامي. ويمكن أن يتم ذلك بأن يلتقي علماء الشيعة والسنة للاتفاق على الأصول والتركيز على مايجمع بين المذهبين.

كما يجب التركيز على أن منطقة الشرق الأوسط أصبحت محور صراع دولي يمثل الإسلام بؤرة تركيزه الاستراتيجي بغض النظر عن سنية أو شيعية الإسلام "المستهدف". وعلى علماء المسلمين – السنة والشيعة – إدراك الأبعاد الحقيقية للصراع. وأن هذا الصراع هو نتاج لفتنة. وأن التطرف يجب مواجهته فكرياً. وأن الخطوة الأولى تتمثل في إبعاد التدخل الأجنبي وسد الثقرات أمام محاولات الاختراق ووضع استراتيجية للتوعية الدينية لمعالدة التشدد وتجفيف ينابيع التطرف والغلو بالقوة الناعمة المتعددة الأبعاد وإعادة رسم الصورة الذهنية عن الإسلام لدى الرأي العام العالمي، واحتواء النزاعات الطائفية والصراعات المذهبية.